الفصل الثالث والثلاثون

ذكر الحَمَّامَات فى مصر نادرة العصر

إن ما سلف ذكره من آلاف الأوقاف كانت خاصة بالجوامع والمساجد والحمامات الأولى فى مدينة القاهرة ذو الماء الجارى يقع فى القلعة الداخلية وهو:

حَمّام سليمان باشا الطواشى

إنه حمام صغير به ثلاث خلوات وحوض شافعى وهو حمام بديعى التصميم وماؤه من بئر يوسف وهو أميل إلى الملوحة، ولأن رواده من جميع طوائف العسكر فجميع أثوابه وعماله ودلاكوه فى غاية النظافة، ولكن بعد الظهر يتردد على الحمام جميع الأمهات والأخوات. وفى منتصف الليل يقوم عمال الحَمّام بتطهير أحواضه وملئها بالماء الصافى.

وفى سوق السباهية وبالقرب من جامع السلطان حسن:

حمام مصطفى باشا

إنه حَمّام كبير، ولا حَمّام فى القاهرة يشبهه فى كبره، ومائه الساخن وجريان ماء حوضه وشادروانه. وفى كل خلوة من خلواته الخمس صنبور. وأرضيته مرصوفة كلها بالرخام الملون ويزدان هذا الحمام بزجاج وثريات وبللورات مختلفة الألوان.

وحَمّام «قنطرة الموسكى»

للسيدات والرجال.

وحَمّام «جى جى على بك»

بما أنه قريب من حارة اليهود يتردد عليه اليهود جميعًا وهو للسيدات والرجال.

وحَمّام «الكلب»

فى مكان منخفض وهو قذر ويدخله الرجال والنساء مجانًا. وعند بنائه قديمًا ظهر فى أساسه تمثالان من النحاس لكلبين يتهارشان ولم يفطن بانى الحمام إلى أن هذين الكلبين مسعران وإلا لحفر له أساسًا فى موضع آخر. ولوجود هذين التمثالين لا وجود فى القاهرة لكلب مسعر يصيب أحدًا بأذى ولذلك يسمون هذا الحَمّام «حَمّام الكلب».

وحَمّام «الخرونفيس»

فى حارة الخرونفيس، وهو حَمّام غير مزدوج ولكنه طيب النسيم.

وحَمّام «البندقانى»

غير مزدوج وهو شديد الزحام.

وحَمّام «مهدية سلطان»

وهو للرجال والسيدات.

وحَمّام «باب الخرق»

وهو حمام غير مزدوج.

وحَمّام «الشيخ البكرى»

فى الأوزبكية

وحَمّام «القبودان»

وهو للسيدات والرجال، وجَوّه لطيف إلى أبعد حد وزجاجه صاف لامع.

وحَمّام «تحت الربع»

غير مزدوج.

وحَمّام «عابدين بك»

فى حارة عابدين وهو للسيدات والرجال.

وحَمّام «قنطرة السنقور»

غير مزدوج.

وحَمّام «سوق الدلال»

وزجاجه ينفذ منه النور وشادروانه يدفق الماء الحار الذى يبلغ قبته. وفى هذا الحمام حوض يسبح فيه السمك أما فوارته فتدفق الماء إلى قبته. أما دلاكوه فهم ولدان صِباح الوجوه عيونهم كعيون الظباء وكلامهم عذب مستملح وهم يخدمون من يستحمون فى الحمام وقد لفوا حول خصورهم مناشف زرقا، وكل ثيابهم من الحرير، ومناشفهم فضفاضة. إنه حمام طيب النسيم نظيف وهو للسيدات والرجال. وثمة حمام آخر هو:

حَمّام «بشتك»

وهو للسيدات والرجال، وهو نظيف إلى أبعد حد.

وحَمّام «قيسريه لى إبراهيم كتخدا»

بالقرب من جامع أَلْتِى بَرْمَاق.

وحَمّام «الدرب الأحمر»

وهو للسيدات والرجال إلا أنه صغير.

وحَمّام «الصوباشى»

وهو حَمام لطيف للرجال والسيدات.

وحَمّام «بائعى السكر»

وهو أنظف من جميع الحمامات، إذ لا يدخلـه القبط واليهود. وهذا ما اشترطه من أنشأه، ولذا يتردد عليه أهل التقوى والصلاح، وجَوُّه لطيف.

وثمة حَمّام آخر هو:

«حَمّام الخرابة»

وهو لضيقه شديد الزحام، وهو خاص بالرجال.

وحَمّام «بقرجى باشا»

وماؤه حار، وجوّهُ لطيف.

وحَمّام «السقا»

وهو خاص بالرجال.

وحَمّام «قاضى العسكر»

وهو للسيدات والرجال.

وحَمّام «مرزوق»

داخل الباب الجديد، وهو غير مزدوج.

وحَمّام «النساء»

بالقرب من سيدى الهندى.

obeikandl.com

وحَمّام ( )[1]

بالقرب من سوق الخضار.

وحَمّام «طيلون»

وهذه الحمامات الثلاثة متقاربة وجوها لطيف إلى حد بعيد، وجميع المغاربة يترددون عليها.

وحَمّام «الصليبة»

وهو حَمّام قديم للسيدات والرجال، وجَوّه لا يسبب الصداع.

وحَمّام «الدود»

وحَمّام «القيسونية»

وهو للسيدات والرجال، وقد بناه الحكيم القيسونى وهو طيب الماء والهواء.

وحَمّام «باب الوزير»

وهو غير مزدوج.

وحَمّام «محكمة الصالحية»

على مقربة من ضريح الحسين، وهو حَمّام قديم.

وحَمّام «قنطرة الليمون»

غير مزدوج.

وهذه الحَمّامات المذكورة واحد وأربعون حمامًا دخلتها وهناك أربعة عشر حَمّامًا أخرى لم أدخلها. وبناء على هذا الإحصاء فإن فى القاهرة خمسة وخمسين حَمّامًا خاصًا وعامًا، إضافة إلى ما فى قصور السلاطين والأمراء والأعيان والشيوخ والعلماء. وفى بعض هذه القصور حَمّامان ولكن قصور رضوان بك أمير الحج وقيطاس بك وعلى بك الجرجاوى وذو الفقار بك وأبى الشوارب بك وغيرها من القصور تضم أربعة حمامات أو أكثر فى القصر الواحد.

(١) بياض فى الأصل.

وبناء على هذا الإحصاء فإن حَمّامات القصور سالفة الذكر تقدر بستين ألف حَمّام فى القاهرة. وهذا ما عرض على السلطان مراد. ولكن مياه هذه الحَمّامات إلى الملوحة أميل وذلك لحكمة يعلمها الله. ولكن إثا ما فاض النيل وجرت مياه الخلجان فى المدينة أصبحت مياه الحَمّامات القريبة من هذه الخلجان مياه عذبة، فماء حَمّام «القيسونى» مثلاً ماء عذب.

ويقول الأطباء إن الماء الملح ماء مفيد وبه تصح الأبدان، ولكل حَمّام فسقية وحوض ولأن أهل القاهرة جميعًا ـ عدا النصارى ـ على المذهب الشافعى. وإذا لم ينزلوا إلى الحوض الشافعى لم ينظفوا. ولها جوٌ يناسب جو مصر ولا وجود لمواقد تحت حمامات القاهرة، كما أن ما وراء جدرانها الأربعة ليس خاليًا، إنها جدران صلبة وبما أن سخانات الحمامات تجعل المياه شديدة الحرارة فإن ماء الشادروانات تشتد حرارته كذلك. وقدور الماء الساخن فى أركان الحَمّام تتجمع مياهها على رخام الحمام وليس للحَمّام بالوعة ولشدة حرارة هذه المياه تشتد حرارة الحَمّام بحيث لا يستطيع أحد أن يضع قدمه على أرضيته وماء الحَمّام لا يبرد قط وهو حار على الدوام ليل نهار، وذلك لوجود أربعة أو خمسة خزانات للماء فوق كل حَمّام وماء هذه الخزانات يفيض ويتدفق إلى الحَمّام ولذا فالماء حار على الدوام. وخزان تسخين الماء فى بلاد الترك وخزان الماء البارد بخلاف ذلك فالخزانات فى مصر من الرصاص وليست من النحاس كما فى بلاد الترك، وهذا ما لا وجود له إلا فى مصر، إنها صناعة عجيبة محيرة للعقل جديرة بالمشاهدة.

وفى القاهرة لا يشعلون الحطب فى الحمامات قط وإنما يحرقون فضلات الماشية التى تسمى عندهم «بالجِلّة»، وللحَمَّامِيَّة أربعة أو خمسة كناسين بالأجرة وهؤلاء الكناسون يتجولون فى الشوارع الرئيسية ويكنسونها بحيث لا يبقوا ذرّة من تراب أو قش ويحضرون هذا القش إلى أتون الحمامات ويكومونه أكوامًا أكوامًا كالجبال، ويضرمون فيه النار. والزنبيل هو رأس مال الحَمّامى، والحَمّامِيَّة يحملون ما فى الزنابيل

ويحرقونـها. ولجميع حَمّامـات القاهرة من يديرونهـا وهم يخضعون لمن يـسمى «جادر مهتر باشى» لوالى مصر. وإذا ما تشاجر الحَمّـاميون والدلاكون وصبيانهم وآذى بعضهم البعض الآخر فإن من يصلح ذات بينهم هو المهترباشى، وريع هذه الحَمّامات يذهب إلى الأوقاف.

* * *

obeikandl.com